

# هانس يواس يحاول إعادة السحر إلى العالم

## حان الوقت لنضع حدا للمواجهة بين علم الأديان والعقيدة



هانس يواس: لا بد من حوار جديد بين الفقه وعلوم الأديان

وتبعتها، فهي ليست ظواهر ثانوية ناتجة عن التنظيم الاجتماعي كما يعتقد ماركس، ولا هي تصورات مضللة كما قال فرويد، ورغم ذلك لا يدافع يواس عن أطروحة كونية الديانة، لكونه غير مقبول بعد الانتقادات الموجهة للدين، والنيارات المناهضة التي عرفتها أوروبا منذ القرن الثامن عشر، ويعد مسارات العلمنة التي أدت إلى التخلي، طوعا أو كرها، عن التقاليد الدينية، دون أن تظهر ديانا جديدة. وفي رأيه أن الوقت حان كي نضع حدا للمواجهة بين علم الأديان ويري نفسه تجاوزا للعقيدة، وبين عقيدة

ويقدم الحجج الكفيلة برسم تصوّر بديل لسردية زوال السحر عن العالم، مستشهدا بالديانة الطبيعية عند ديفيد هيوم، وتاويلية التجريبية الدينية الفردية لدى وليم جيمس، وتمفصل سيميوطيقا بيرس لتلك التاويلية، وعلم الاجتماع التاريخي للمسيحية لدى أرنست ترولتش، وخطاما نظرية العصر المحوري لكارل ياسبرس، ليفكك الفكرة التي تؤكد أن المؤمنين عاجزون من حيث المبدأ على تحليل الديانة تحليلا علميا دون حكم مسبق. ويواس يعترف بحقيقة الظواهر الدينية

الحال وأخيرا التحديث الذي حُطّط له كوحدة تلقى فيها كل تلك الملامح، فيبعد إلى تحليل مفضل لمجمل الفقرات التي يستخدم فيها فيبر عبارات زوال السحر، ليبين أنه يستعملها بمعان متعددة وملتبسة، وإن كانت فكرته الأساس واضحة، وهي أن الدين لا مستقبل له في المجتمع الحديث، الذي يخصص أهم طاقاته في أنشطة علمانية عقلانية.

ويعد أن أبرز تلك النقطة، عاد يواس إلى ظهور علم الأديان، هذا العلم الذي يزعم أنه يملك عن الأديان خطابا معرفيا عقلانيا، بعيدا عن الفقه والمعتقدات الكنسية، فميز فيه أهم المحطات وتوقف عند أبرز الإسهامات، ليبين إيجابيات كل منها ونقائصه، ليحلها

يطرح كتاب "سلطات المقدّس. طرح بديل لسردية زوال السحر"، لعالم الاجتماع الألماني هانس يواس، مكانة المقدّس في الحياة الاجتماعية المعاصرة، وفي رأيه أن الرؤية الخطيئة لعلمانية تؤمن بانحدار متدرج وعالي للديانة، والفهم الصوّفي لعودة الدين ليسا مناسبين لمقاربة هذه الظاهرة المعقدة، ومن ثمّ يستحضر ويناقش النماذج الكبرى التي صاغتها الفلسفة وعلم الاجتماع منذ القرن الثامن عشر.

في مصطلح "زوال السحر عن العالم" اقترح ماكس فيبر تلخيص تطور عام للبشرية عبر تاريخها الطويل، وبين أن التاريخ الديني للبشر موسوم بإزالة تدريجية للسحر الذي ظهر مع الديانات الأولى، في اليهودية القديمة مثلا، ومع ظهور الديانات الكبرى الكونية وعلم الإلهيات، انخرطت البشرية في عقلنة آلية لمختلف الأنشطة البشرية، وإن اختلفت تلك الأنشطة باختلاف وظائفها، إذ أقامت كل واحدة منها لنفسها مجموعة من المعايير والقيم، أتاحت لها الحصول على نوع من الاستقلال الذاتي. ذلك، في نظر ماكس فيبر، محتوى الدينامية التحديتية المميزة للمجتمعات الغربية، التي تتقدم فيها العلمانية، أي زوال السحر، والعقلانية يدا بيد.

وحديث فيبر عن السحر متأت من البحوث التي أجراها علماء الأنثروبولوجيا في بعض المجتمعات، فقد أثبتوا أن لها مكانة مركزية كملح أو ظاهرة وثيقة الصلة بالديانة، بعضهم حددها كفن ضروري لأفراد المجتمعات البدائية لمواجهة الأخطار أو الأقدار، وتقنية تهدف إلى التحكم في الصدق، وتجنب الطوارئ.

أما العالم الذي فقد سحره، فهو عالم الحدائين الذين أداروا ظهورهم للمعتقدات والممارسات التي لها علاقة سحرية بالطبيعة وبالآخرين. وغني عن القول إن عالم السحر في المجتمعات الأخرى ليس عالم خرافات وأساطير، وحياة متخيلة وسط مخلوقات عجيبة، بل إن تلك الشعوب تملك أونطولوجيا أخرى، مسكونة بهويات تخالف الهويات الطبيعية للغربيين. تلك المجتمعات تربطها مؤسسة دينية، فالدين عندها له وظيفة شاملة، فهو يسم كل الأنشطة والأحداث والحركات، حتى اليومية منها، أي أنه يشكل المجتمع نفسه، وهذا هو الجبل الذي قطعته الأزمنة الحديثة.



أبوبكر العيادي  
كاتب تونسي

كيف يمكن التفكير في حاضر الديانات ومستقبلها عبر العالم؟ هل ينبغي الرجوع إلى سردية "زوال السحر عن العالم" التي اقترحها ماكس فيبر، أحد الإباء المؤسسين لعلم الاجتماع، والتي تعتقد أن الديانات مألها التراجع بشكل لا رجعة فيه، كلما ازداد العالم حداثة؟

### التاريخ الديني للبشر موسوم بإزالة تدريجية للسحر الذي ظهر مع الديانات الأولى، في اليهودية القديمة مثلا

في كتابه "سلطات المقدّس. طرح بديل لسردية زوال السحر"، الذي اختار له المترجم الفرنسي عنوانا غير العنوان الأصلي بالالمانية Die Macht des Heiligen (قوة المقدّس)، يناقش هانس يواس مسألة هيمنة أطروحة العلمانية ولكن دون أن يوجهها في الاتجاه المعاكس، (من زوال السحر عن العالم إلى عودة السحر إلى العالم).

### الدينامية التحديتية

يبين يواس أن المفهوم الذي صاغه فيبر أبعد ما يكون عن الوضوح، ما يمنع من اعتماده كشبكة قراءة تبسيطية، ومن ثمّ يقترح يواس بدلا عنها طريقة أخرى لقراءة تاريخ الأديان، ليوضح كيف تنشأ تقديسات جديدة، أو عودة الحياة إلى تقديسات قديمة بشكل متواصل في التاريخ الاجتماعي للبشرية.

فالتاريخ في رأيه يبدو مثل تلاحق مسار تقديس ونزع التقديس، فلا يوجد مسار شامل يجوي إبطال صفة القداسة عن كل المقدسات وكل المثل العليا، كما لا يوجد خلق لإمكانية ظهور مثل عليا جديدة.

### حوار جديد

هذه الأطروحة يضعها يواس موضع مساعلة ويعمل على تفكيك عناصرها كالعقلانية والعقلانية والاختلاف الوظيفي للأنشطة وزوال السحر بطبيعة

## «سبعة رجال مراكش»

### كتاب عن تاريخ المغرب

دراسات مهمة عن المغرب تاريخا وحضارة ودينا، فقد جمع الوثائق غير المنشورة عن المغرب والموجودة في بلدان أخرى كفرنسا، وهولندا، وإنجلترا، وإسبانيا، والبرتغال، في كتابه.

وأضاف أن هنري دو كاستري كان عسكريا برتبة عقيد. كما كلف بمهمة مؤرخ مستشار لدى الإيالة الشريفة. له دراسات تاريخية وإسلامية نشرها في مجلة هسبريس، منها هذا الكتاب الذي بين أدينا عن "سبعة رجال مراكش". وأشار إلى أنه "لم يكن هو الوحيد الذي أثار هذا الموضوع فضوله، فقد كتبت عنه العديد من المؤلفات، وأثار جدلا كبيرا خاصة بالنسبة إلى الشق المرتبط بسبعة رجال رجراجة". وتنقسم ترجمة الكتاب إلى أربعة مواضيع تشمل: "الأولياء في الإسلام"، و"سبعة رجال رجراجة"، و"سبعة رجال مراكش"، والقاضي عياض السهيلي، سيدي يوسف، سيدي أنوالعباس السبتي، سيدي محمد بن سليمان الجزولي، سيدي عبدالعزيز تباغ، عبد الله بن عجال الغزواني. وترتيب زيارات المقامات السبعة، إلى جانب جريدة المصادر والمراجع.

مراكش - صدر حديثا عن مؤسسة أفاق للدراسات والنشر والاتصال بمراكش، ضمن سلسلة "مراكشيات"، النسخة العربية لكتاب "سبعة رجال مراكش" لمؤلفه هنري دو كاستري، والذي قام بترجمته الأستاذ محمد الزكراوي.

ويعرض هذا الكتاب، الذي يقع في 109 صفحات من القطع المتوسط، لرجال مراكش السبعة، مع ذكر أسمائهم ومواطنهم ودفنهم ومواليدهم ووفياتهم، وكذلك نبذة عن سيرتهم وما يتميزون به من ضروب الولاية، معتمدا في ذلك على التدرج التاريخي من الأقدم إلى الأحدث. وفي مقدمته لهذا الكتاب، اعتبر الدكتور حسن جلاب أن "مقالة دو كاستري عن سبعة رجال مراكش تدل على الاهتمام الذي أولاه الباحثون الأجانب للمغرب تاريخا وسياسة واجتماعا، وديقوا في كل ما له علاقة بالمغاربة للمزيد من معرفتهم تسهيلا لاستمرار حمايتهم واحتلال أرضهم. وقد انتهى عهد الحماية وقيمت هذه الأبحاث المفيدة والموضحة لكثير من جوانب تاريخ أمتنا العريق".

## «إدير الأزلي».. سيرة فنان سافر بأغاني أجداده الأمازيغ

وكان والده يملك محلا لبيع التحف التذكارية. وفي تلك الفترة أبدى إدير اهتمامه بدروس اللغة الأمازيغية التي كان يقدمها الكاتب والجامعي مولود معمري (1917 - 1989).

### الكتاب يستند إلى وثائق هامة تبرز أهم عوامل نجاح الفنان إدير الذي أوصل صوت أجداده الأمازيغ إلى العالم

ويتطرق المؤلف أيضا إلى علاقة إدير بمسائل هامة مثل الهجرة وظروف حياة المهاجرين حيث إنه غادر الجزائر في 1975. ويتحدث أيضا عن نضاله من أجل قضايا عادلة وتشجيعه الشباب على الاهتمام بالثقافة الموسيقية. ومن بين المسائل التي ذكرها الكتاب وقوف الفنان إدير الذي وصفه الكتاب بـ"المتواضع" و"الكريم"، إلى جانب المغنين الشباب مثل عبد القادر مكسة والغازي. وأشار الكتاب أيضا إلى أفكار الفنان بخصوص العديد من المسائل مثل الهوية واللغة الأمازيغية والحياة السياسية وغيرها. كما تقتصر هذه السيرة الذاتية على القارئ نصوصا مختارة لصاحب الأغنيتين المشهورتين "ابا بنويا" و"اسندو"، والذي وافته المنية في 2 مايو الماضي ببباريس.

وقد استعاد الكاتب والروائي الجزائري ياسمين خضرا الذي وقع على مقدمة الكتاب، لقاءه الأول مع إدير في بداية السبعينات من القرن الماضي بمدرسة أشبال الثورة بالقلعة في إطار أداء الفنان للخدمة الوطنية.

ولا يزال ياسمين خضرا بعد 50 سنة من الزمن يحتفظ بذكريات مع الفنان من بينها تنظيم المدرسة لمسابقة في الغناء تحت إشراف حميد شريط المشهور فنيا باسم إدير. كما يحتفظ في ذكرياته عن المطرب بصورة فنان متميز ورجل متواضع رغم قامته الفنية، وكذلك صديق كريم.

وفي تقديمه لهذا المؤلف يعتبر عزوز حشلاف المطرب ورفيق درب إدير أن الكتاب يستند إلى وثائق قوية أو متينة تبرز أهم عوامل نجاح الفنان الذي أوصل صوت الأجداد إلى العالم. وحاول مؤلفا هذه السيرة الذاتية التي كتبت بأسلوب صحفي التوقف مليا عند أهم المحطات التي ميزت عمله في طريقه نحو الشهرة والعالمية. يستعرض الكتاب سيرة الفنان بدءا من طفولته في قرية آيت لحسن بمحافظة تيزي وزو، ليصاحبه في باقي خطواته من مقاعد الدراسة الجامعية بالجزائر العاصمة حيث درس علم الجيولوجيا في 1970، حاملا معه مواهبه الفنية التي أبداه في المرحلة المتوسطة حيث كانت أصابعه تداعب أوتار القيثارة ويعزف على المزمار. ويواصل الكتاب الغوص في حياة الفنان الذي انتقل للعيش في العاصمة

المطرب الذي يعتبر سفير الأغنية الجزائرية باللغة الأمازيغية، والذي جالت أغانيه العالم وأعاد أداها كبار المطربين داخل وخارج الوطن.

ويطرح هذا العمل الصحافي إلى الإسهام في التعريف بمسار الفنان استنادا إلى شهادات أقرائه وأصدقائه إلى جانب مقالات صحافية ومقابلات إذاعية وتلفزيونية أجريت مع الفنان.



فنان الأمازيغ العالمي